الفصل الأول

الإعجاز فى شمولية الحصر ودقة المصطلحات العمرانية والمعمارية

يلفت نظر المتأمل والدارس لسور وآيات القرآن الكريم فى مجال عمران وعمارة الأرض أمرين هامين: أولهما شمولية حصر الآيات القرآنية للعديد من أنواع المبانى المعمارية على اختلافها وتعددها، وثانيهما دقة التفرقة بين المفاهيم والمصطلحات العمرانية والمعمارية.

لذلك فقد رأينا أن يتم تخصيص هذا الفصل من البحث، لإظهار وتوضيح هذين الأمرين، كأحد جوانب إعجاز القرآن الكريم فى مجال علوم العمران والبنيان، لقد صدق الله العظيم حيث يقول فى محكم آياته: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾[1].

أولا: شمولية حصر أنواع المبانى المعمارية:

من المعروف أن الأنشطة الإنسانية المختلفة تحتاج إلى مبانى مختلفة يتم ممارسة هذه الأنشطة فيها، ومن اللافت للنظر أن القرآن الكريم قدم حصرا لأهم نوعيات المبانى على اختلاف وظائفها من خلال آيات كريمة جاءت فى سور متعددة، وهو ما يعتبر أحد جوانب إعجاز القرآن الكريم فى هذا المجال، وفيما يلى توضيح لذلك:

١ـ مبانى العبادة:

لم يغفل القرآن الكريم عن ذكر أنواع مبانى العبادة المختلفة عند أهل الشرائع

(١) سورة الكهف: الآية ٥٤.

السماوية، وهم اليهود والنصارى والمسلمين، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾[1]، أى لولا هذا الدفع لهدم فى زمن سيدنا موسى "الصلوات"، وفى زمن سيدنا عيسى "الصوامع" و"البيع"، وفى زمن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام "المساجد".

والصوامع جمع صومعة وهو بناء مرتفع وكانت قبل الإسلام مختصة برهبان النصارى وبعباد الصابئين، قال قتادة: ثم استعمل فى مئذنة المسلمين، والبيع جمع بيعة وهى كنيسة النصارى، والصلوات هى كنائس اليهود، فعلى ذلك فالصوامع للرهبان والبيع للنصارى والصلوات لليهود والمساجد للمسلمين[2].

أما بالنسبة للمساجد فقد ورد ذكر لفظ "المسجد" معرفا فى آيات القرآن الكريم نحو سبعة عشر مرة، منها خمسة عشر مرة جاء لفظ المسجد موصوفا "بالحرام" أى "المسجد الحرام"[3]، مما يدل على أنه هو أهم مساجد الأرض على الإطلاق وأعظمها قدسية ومكانة، ومما يؤكد ذلك أنه أول بيت وضع للناس على الأرض حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[4]، وعن الشعبى عن على رضى الله عنه قال:" كانت البيوت قبلة ولكنه أول بيت وضع لعبادة الله"، وزعم السدى أنه أول بيت وضع على وجه الأرض مطلقا، والصحيح قول على رضى الله عنه[5].

ولقد أوضحنا فى الفصل الخاص (الثالث) ببيان وجه الإعجاز فى اختيار موقع

---

(١) سورة الحج: من الآية ٤٠.

(٢) انظر تفسير الآية ٤٠ من سورة الحج فى الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى.

(٣) يحيى وزيرى (التعمير فى القرآن والسنة): مرجع سابق، ص١٠٤.

(٤) سورة آل عمرن: الآية ٩٦.

(٥) انظر: كتاب "فتح البارى شرح صحيح البخاري" للإمام ابن حجر العسقلانى، وأيضا: يحيى وزيرى، المرجع السابق، ص١٠٥.

مكة المكرمة، أنها هى مركز اليابسة بالنسبة للعالمين القديم والجديد، مما يدل على أهمية ومكانة المسجد الحرام ومن أنه أول بيت وضع على الأرض لعبادة الله سبحانه وتعالى، بحيث يتوسط اليابسة.

٢ـ مبانى السكن والإيواء:

الإنسان بطبيعته البشرية لايستطيع أن يعيش فى الحياة بدون مأوى، يبيت فيه ليستريح من عناء العمل، كما يلجأ إليه ليحميه من البرد والحر والظروف المناخية الصعبة، لذلك فان البيوت والمساكن تعتبر إحدى النعم التى من الله سبحانه وتعالى بها على البشر، وفى هذا المعنى يقول الله جل فى علاه: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾[1].

فالآية الكريمة السابقة من سورة النحل فيها تعديد لنعم الله تعالى على الناس فى البيوت، فذكر سبحانه وتعالى بيوت المدن وهى للإقامة الطويلة، وقوله "سكنا" أى تسكنون فيها وتهدأ جوارحكم من الحركة، ثم ذكر بعد ذلك بيوت النقلة والرحلة وهى "وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها"، أى من الأنطاع والأدم بيوتا يعنى الخيام والقباب يخف عليكم حملها فى الأسفار، وقال أبى زيد الأنصارى: "أثاثا" الأثاث متاع البيت واحدها أثاثه، وقال الأموى: الأثاث متاع البيت وجمعه آثه وأثث، أى جعل لكم من صوف الغنم ووبر الإبل وشعر الماعز ما تلبسون وتفرشون وتتمتعون إلى حين الموت أو أن تبلى[2].

أى أن الآية الكريمة ذكرت بيوت المدن والقرى الثابتة، وبيوت البدو المتنقلة والمتمثلة فى الخيام والقباب، ثم تأتى آيات كريمة أخرى لتوضح أن من الأشكال الطبيعية ما يمكن اتخاذه كمأوى أو بيت، كما فى قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى

---

(١) سورة النحل: الآية ٨٠.

(٢) انظر تفسير الآية ٨٠ من سورة النحل فى الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى.

﴿ٱلصَّخْرَةِ﴾[1]، كما أخبر سبحانه وتعالى عن اتخاذ قوم ثمود من الجبال بيوتا فى قوله: ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾[2]، كما تشير إحدى آيات سورة الكهف إلى لجوء الفتية المؤمنين إلى هذا الكهف العجيب احتماء به من أهل الكفر، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾[3]، وتشير الآية الكريمة إلى الكهوف والغيران كأحد أشكال المأوى الطبيعية التى يمكن أن يأوى إليها البشر.

إن كتب ومراجع تاريخ العمارة والآثار[4] توضح أن البشر فى مراحل زمنية معينة من التاريخ، خاصة قبل انتشار القرى والمدن والتجمعات العمرانية، كانوا يتخذون من الأشكال الطبيعية كالصخور أو الجبال أو الكهوف مأوى ومسكن يعيشون فيه، شكل (١).

٢ـ المبانى الدفاعية والحربية:

جاء ذكر العديد من عناصر ومبانى العمارة الدفاعية فى بعض الآيات القرآنية، نفصلها فيما يلى:

أ- **البروج المشيدة:** وهى الحصون المنيعة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[5]، والبرج فى المبانى والحصون الدفاعية عبارة عن عنصر معمارى الغرض منه تدعيم أسوار المدن أو القلاع أو

---

(١) سورة الكهف: من الآية ٦٣.

(٢) سورة الحجر: الآية ٨٢.

(٣) سورة الكهف: آية ١٦.

(٤) انظر على سبيل المثال: ثيا وريتشارد برجيز (ترجمة:محمد توفيق محمود) (١٩٦٢). من الحجارة إلى ناطحات السحاب. دار النهضة العربية، القاهرة، ص ٨،٩.

(٥) سورة النساء: من الآية ٧٨.

القصور بغرض زيادة فاعلية هذه العناصر من الناحية الدفاعية، وتزود هذه الأبراج عادة بغرف علوية صغيرة لقذف النار كما تزود بمزاغل رأسية لرمى السهام ومزاغل أفقية لصب السوائل المحرقة[1].

ب- الحصون: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ﴾[2]، أى هو جل وعلا الذى أخرج يهود بنى النضير من مساكنهم بالمدينة المنورة، أى فى أول مرة حشروا وأخرجوا فيها من جزيرة العرب إلى الشام، وظنوا أن حصونهم الحصينة تمنعهم من بأس الله[3]، والشاهد فى الآية الكريمة ذكر الحصون كأحد أهم عناصر العمارة الدفاعية فى مجال العمارة الحربية.

---

(١) يحيى وزيرى (١٩٨٥). العمارة الإسلامية الحربية وتأثيرها على العمارة المعاصرة. مجلة عالم البناء- عدد ٦٢، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، القاهرة، ص١٩.

(٢) سورة الحشر: من الآية ٢.

(٣) يحيى وزيرى (التعمير فى القرآن والسنة): مرجع سابق، ص١٤١.

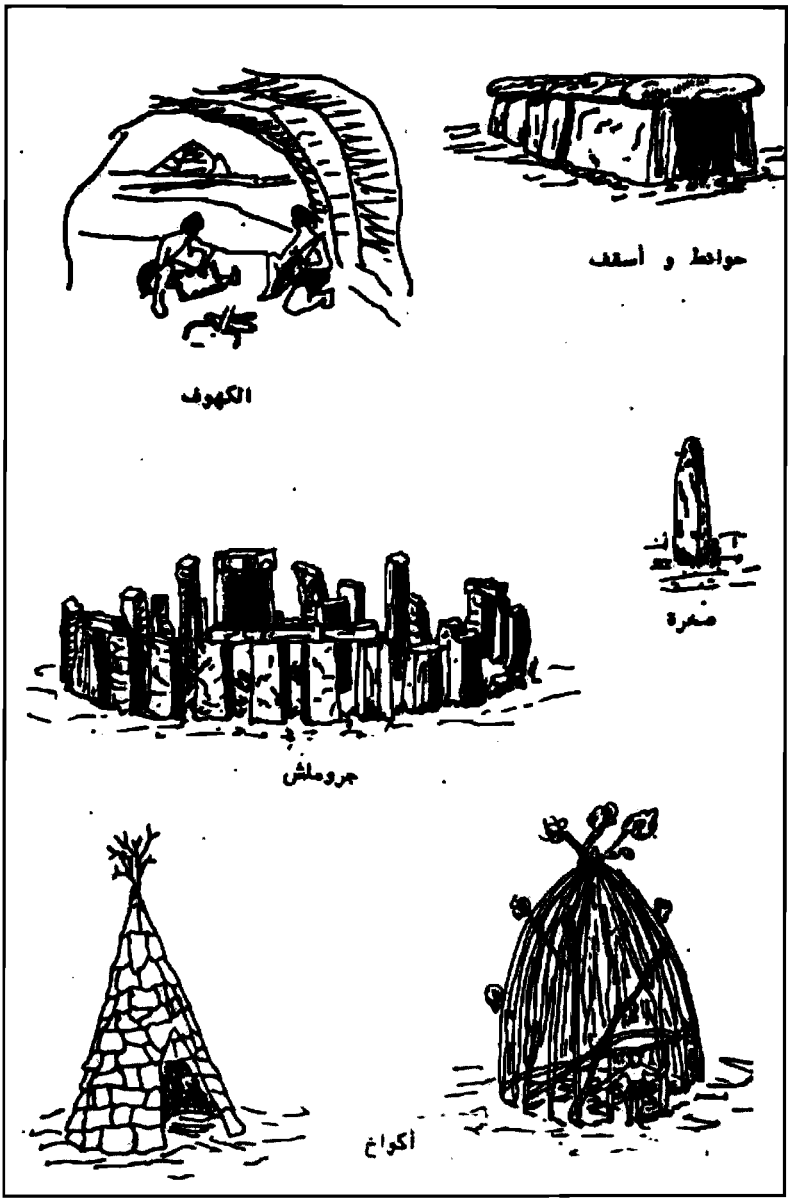

شكل (١): بعض أنواع المأوى التى كان يلجأ إليها الإنسان قبل ظهور التجمعات العمرانية، ومنها أنواع المأوى الطبيعى كالكهوف والجبال والصخور الذى جاء ذكرها فى القرآن الكريم[١].

(١) يحيى وزيرى (التعمير فى القرآن والسنة): مرجع سابق، ص ٤٩.

ج- الأسوار الدفاعية:

تعتبر الأسوار من أهم التحصينات الحربية سواء على مستوى المدن أو المبانى أو الحصون، فهى تعتبر خط الدفاع الأول وذلك لأنه إذا تمكن المهاجمين من اقتحام أسوار المدينة والنفاذ منها إلى الداخل فان هذا يعنى تمكنهم من الاستيلاء على باقى المدينة (أو الحصن) بسهولة ويسر.

وسوف يتم ذكر السد الذى بناه ذو القرنين فى الفصل الخاص بالإعجاز فى مجال مواد الإنشاء والتعمير، ولكننا نورد ذكره هنا من وجهة نظر أخرى باعتباره أحد نماذج العمارة الدفاعية التى أعطى القرآن الكريم وصفا دقيقا لها فى سورة الكهف، يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُۥ نَقْبًا ﴾[1].

الردم هو السد، والردم ما جعل بعضه على بعض حتى يتصل، وقيل الردم أبلغ من السد، إذ السد ما يسد به والردم وضع الشيئ من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع.

ومن الآيات القرآنية التى تتحدث عن نماذج للجدر الدفاعية هى قوله تعالى: ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾[2]، ذكر ابن كثير ما مختصره[3]: " يعنى أنهم من جبنهم وهلعهم (يقصد اليهود)، لايقدرون على مواجهة جيش الإسلام، بل إما فى حصون أو من وراء جدر محاصرين، فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة".

والشاهد فى الآية الكريمة السابقة هو ذكر القرى المحصنة، والجدر أى الأسوار

---

(١) سورة الكهف: الآيات من ٩٥ إلى ٩٧.

(٢) سورة الحشر: من الآية ١٤.

(٣) انظر تفسير الآية ١٤ من سورة الحشر فى تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير.

الدفاعية، والآية بها إشارات معجزة حيث تكشف عن الطبيعة النفسية اليهودية، فقد برع اليهود فى التعصب الأعمى ضد كل من سواهم، بل ضد الإنسانية بصفة عامة، كما برعوا فى تدبير المؤامرات ونقض المعاهدات وتزييف التاريخ وتحريف الدين والافتراء على الله (تعالى) وعلى كتبه وأنبيائه ورسله، وفى تربية ناشئتهم على الاستعلاء الكاذب فوق الخلق، وقد أفاض القرآن الكريم فى تحديد ملامح تلك الشخصية عبر التاريخ، ولذلك كان خوفهم من الأمم المحيطة بهم شعورا مسيطرا دوما فعاشوا عبر التاريخ وراء القرى المحصنة والجدر المرتفعة، والموانع والعوائق المتعددة، أو فى حوار وأزقة معزولة وأحياء مغلقة (عرفت باسم الجيتووات اليهودية ومفردها جيتو) كأقليات منبوذة، مضطهدة من جميع أبناء الأمم التى عاشوا بينها[1].

ومن الغريب أن ما أخبرتنا به أسفار التاريخ والكتب السماوية أن هزائم اليهود كانت فى أغلبها داخل الأسوار التى صنعوها بأيديهم، ومن أبرز الجدران والحصون اليهودية عبر التاريخ مايلى[2]،[3]:

* **الماسادا**: آخر قلعة يهودية سقطت فى يد الرومان أثناء التمرد اليهودى ضد الإمبراطورية الرومانية، وكانت تلك القلعة تقع بالقرب من البحر الميت وشيدها هيرود، وحاصرها الرومان عدة أسابيع عام ٧٣ ميلادية، فقرر اليهود المتحصنين بها أن ينتحروا جماعيا بدلا من الوقوع فى الأسر.

* **حصون بنى النضير**: فى عام ٤ هجرية قرر المسلمون مهاجمة تلك الحصون بعد محاولة اغتيال فاشلة دبروها لرسول الله محمد ﷺ، وبعد حصار قصير انسحب اليهود من الحصون، بعد أن خربوها بأيديهم وأخذوا ما بها من أبواب وأحجار.

---

(١) زغلول النجار (٢٠٠٣). من أسرار القرآن. جريدة الأهرام (١/ ٩/ ٢٠٠٣)، القاهرة، ص١٢.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) طارق الشيخ (٢٠٠٤). حصون اليهود وجدارهم على مر العصور. جريدة الأهرام (١٧/ ٧/ ٢٠٠٤)، القاهرة، ص٦.

* **حصون خيبر**: فى عام ٧ هجرية هاجم المسلمون حصون خيبر وتمكنوا من اقتحام أغلبها بقوة السلاح وفر اليهود من الباقى وانتهت المواجهة بجلاء اليهود عن المدينة.

* **سور الشمال وحصون تاجرت**: أقامه المستعمرون اليهود بالتعاون مع السلطات البريطانية لمنع الثوار العرب من التسلل إلى فلسطين عبر سوريا ولبنان، أثناء الانتداب خاصة بعد الثورة العربية عام ١٩٣٦م، ولم ينجح السور أو الحصون التى تمت إقامتها على امتداده فتم هدم السور أثناء الحرب العالمية الثانية.

* **خط بارليف**: أقامته إسرائيل بمليارات الدولارات بطول قناة السويس وزودته بأحدث تسليح وأجهزة حماية واستشعار ومراقبة ورصد، وقام الصهاينة بإقامة عدة نقاط حصينة فى جوف هذا الساتر الترابى الضخم يبلغ عددها ٢٢ موقعا حصينا تضم ٣١ نقطة قوية تبلغ مساحة كل منها أكثر من أربعة آلاف متر مربع على هيئة منشآت هندسية معقدة، تتكون من عدة طوابق خرسانية مسلحة بقضبان السكك الحديدية وألواح الصلب.

وبالرغم من كل هذه التحصينات فان خط بارليف كان أسرع الخطوط الدفاعية سقوطا على مستوى العالم، فقد سقط فى ٦ ساعات فقط وأذابه المصريون بالمياه تحت الشمس ظهر يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣.

* **الجدار العازل**: فى ٢٣/ ٦/ ٢٠٠٢م بدأ الصهاينة فى بناء جدار أسمنتى بارتفاع ثمانية أمتار وبعدد من الأبراج المرتفعة التى تعلوه على مسافات متقاربة، والمزودة بآلات تصوير للمراقبة وأحاطوا الجدار بمنطقة عازلة يتراوح عرضها من ٥٠ إلى ٦٠ متر تضم من الجانب الفلسطينى حاجزا من الأسلاك الشائكة، وخندقا يصل عمقه إلى أربعة أمتار، ثم طريقا غير معبد لدوريات الجيش المحتل، شكل (٢)، ويقدر أن يصل طول الجدار بتعرجاته المختلفة إلى ألف كيلو متر.

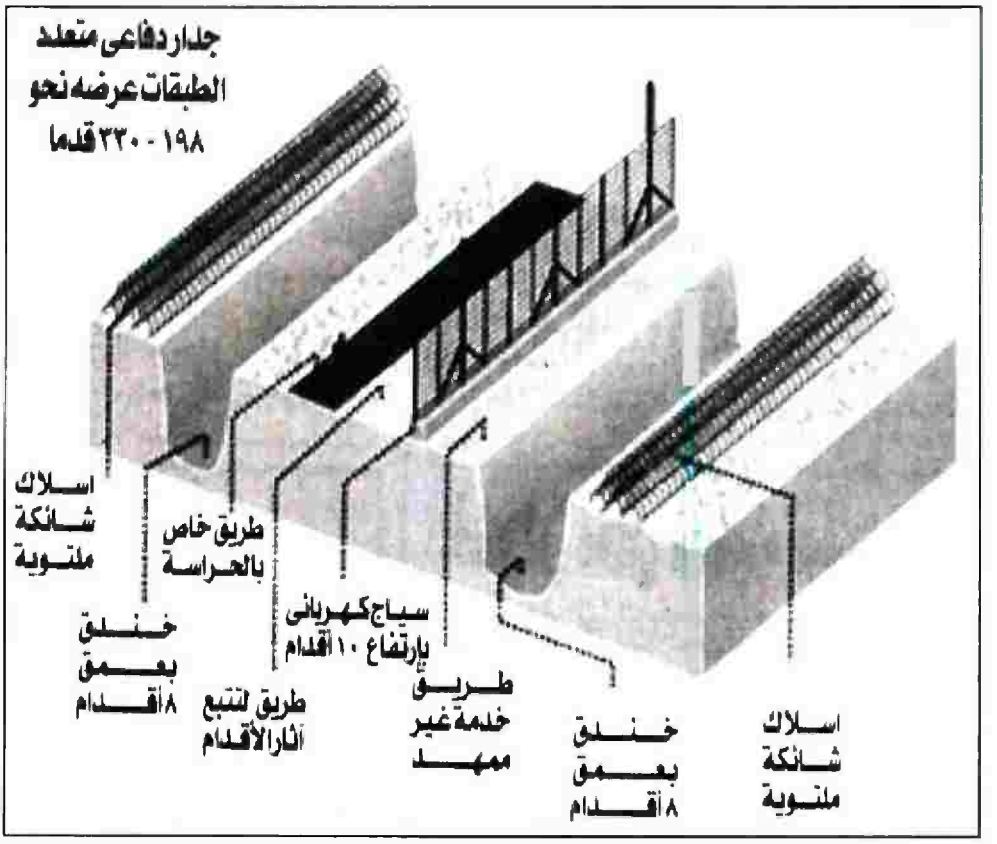

شكل (٢): قطاع تفصيلى فى الجدار العازل الذى يقيمه الإسرائيليون فى فلسطين، وهو يؤكد صدق القرآن الكريم فى أنهم لايقاتلون إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر[١].

من الأمثلة السابقة تتضح روعة التعبير القرآنى الذى يوضح الأسلوب والعناصر الدفاعية التى واظب اليهود على استعمالها عبر التاريخ وحتى عصرنا الحديث، وهى إشارة قرآنية معجزة تؤكدها الحقائق التاريخية والواقع العملى المشاهد، وصدق الله العظيم حيث يقول: " لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون".

(١) مها النحاس (٢٠٠٤). الجدران الفاشلة. جريدة الأهرام (١٨/ ٧/ ٢٠٠٤)، القاهرة، ص٦.

٤ - المبانى العامة:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾[١]، وفى الآية الكريمة إباحة رفع الاستئذان فى كل بيت لايسكنه أحد، لأن العلة فى الاستئذان إنما هى لأجل خوف الكشفة على الحرمات فإذا زالت العلة زال الحكم[٢].

وفى سبب نزول هذه الآية الكريمة روى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال: "يا رسول الله، أفرأيت الخانات والمساكن فى طرق الشام ليس فيها ساكن" فأنزل الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾[٣]، والمتاع المذكور هو الانتفاع فالطالب يدخل الخانكات وهى المدارس لطلب العلم، والساكن يدخل الخانات وهى الفنادق، والزبون يدخل الدكان للابتياع، والحاقن يدخل الخلاء للحاجة[٤].

فالآية السابقة تشير إلى المبانى العامة ودور الضيافة والمدارس وما شابهها، وأنه لاينطبق عليها ما ينطبق على البيوت السكنية من أهمية مراعاة الاستئذان وعوامل الخصوصية، لأنها مبانى عامة تخدم كل أفراد المجتمع.

ولقد ورد فى بعض الآيات القرآنية الأخرى ذكر لبعض نماذج من المبانى العامة والمتنوعة، نحاول أن نلقى الضوء عليها فيما يلى:

أ- الأسواق:

الأسواق عبارة عن مجموعة من الدكاكين مفتوحة على جانبى الطريق، وكان لكل صناعة سوق خاص ولكل تجارة أيضا فهناك ما هو للصاغة أو النحاسين..،

---

(١) سورة النور: الآية ٢٩.

(٢) يحيى وزيرى (التعمير فى القرآن والسنة): مرجع سابق، ص١٣٤.

(٣) انظر تفسير الآية ٢٩ من سورة النور فى الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى.

(٤) المرجع نفسه.

وقد يكون السوق مسقوفا بكامله أو بمجموعة من دكاكينه فى بناء كبير واحد كالخان أو الوكالة[1].

وقد ورد ذكر الأسواق فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾[2]، وقد جاء ذكر السوق فى ما غير حديث، ذكره أهل الصحيح، وتجارة الصحابة معروفة خاصة المهاجرين، كما قال أبو هريرة: "إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق "التبايع" بالأسواق"[3].

ب- الخانات ومحطات القوافل:

من المبانى العامة التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم محطات القوافل التجارية أو الخانات، وهى لفظة فارسية أطلقت على مكان مبيت المسافرين، ونلمح هذه الإشارة فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾[4].

أى جعلنا بين بلاد "سبأ" وبين قرى الشام التى باركنا فيها للعالمين قرى متصلة من اليمن إلى الشام، يرى بعضها من بعض لتقاربها ظاهرة لأبناء السبيل، وقلنا لهم سيروا بين هذه القرى متى شئتم لاتخافون فى ليل ولا نهار، قال الزمخشرى:"كان الغادى منهم يقيل فى قرية، والرائح يبيت فى قرية إلى أن يبلغ الشام"[5].

وفى الآية إشارة إلى محطات القوافل التجارية والخانات التى توجد على طرق القوافل التجارية أثناء سفرهم للتجارة والترحال، حيث كان يأوى التجار إلى هذه القرى الظاهرة المعروفة للخانات أو المبانى المخصصة للغرباء، وذلك من أجل

---

(١) عبد الرحيم غالب (١٩٨٨). موسوعة العمارة الإسلامية. جروس برس، بيروت، ص٢٣١.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٧.

(٣) أخرجه البخارى.

(٤) سورة سبأ: الآية ١٨.

(٥) انظر تفسير الآية ١٨ من سورة سبأ فى صفوة التفاسير لمحمد على الصابونى.

الراحة أو التزود بالماء والمؤن التى تعين المسافرين والتجار على استمرارية رحلتهم من بلد إلى آخر.

ج- السجون:

السجون جمع سجن وهو المحبس، وقد كان فى كل مدينة سجن واحد أو أكثر مستقل البناء أو ملحق بسور أو برج أو قلعة[1]، وقد جاء ذكر السجن فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾[2].

ثانيا: الدقة فى التفرقة بين المصطلحات المعمارية والعمرانية:

تزخر آيات القرآن الكريم بالعديد من المصطلحات والعناصر المعمارية والعمرانية، وهى توضح أحد ملامح الإعجاز القرآنى فى تفسير المفهوم الدقيق لكل عنصر والفرق بينه وبين العناصر الأخرى.

وسنحاول فى هذا المحور من البحث أن نعطى أمثلة متعددة لتوضيح دقة وعظمة القرآن فى هذا الشأن، وفيما يلى تفصيل لعناصر العمران كما استنبطها بعض الباحثين من آيات القرآن الكريم[3]،[4]:

* **البيت:** إن معنى البيت هو البناء الذى له رب واحد يتصرف فيه كيفما شاء، لذلك سميت الكعبة بيت الله الحرام، وكذلك سميت المساجد بيوت الله، والبيت كلفظ مفرد ومعرف يعبر عن بيت الله الحرام بمكة المكرمة كما ورد فى آيات القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ

(١) يحيى وزيرى (التعمير فى القرآن والسنة): مرجع سابق، ص١٣٨.
(٢) سورة يوسف: الآية ٤٢.
(٣) عبد العزيز عبد الله أبا الخيل (١٩٨٩). الكتاب والسنة أساس تأويل العمارة الإسلامية (ج١). شركة مطابع نجد التجارية، الرياض، ص ١٦ وما بعدها.
(٤) محمود حسن نوفل (٢٠٠٣). العمران والبيئة من منظور اسلامى. أبحاث مؤتمر الاجتهاد فى قضايا الصحة والبيئة والعمران. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة اليرموك، الأردن.
(٥) سورة قريش: الآية ٣.

﴿يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[2].

والبيت فى معناه اللغوى يعبر عن الاستقرار والديمومة، كما يعبر عن ملكيته لأسرة واحدة تبيت فيه، ويمكن أن نستلهم هذا المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[3]، وفى الآية الكريمة أمر لنساء النبى عليه الصلاة والسلام بالاستقرار والمكوث فى بيوتهن، كما قال تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾[4]، وهى إشارة أيضا إلى وجوب استقرار المطلقات فى البيوت حتى تنتهى عدتهن، لذلك قال المولى عز وجل "من بيوتهن" ولم يقل "من بيوتكن".

والبيت يعبر عن كيان مادى منشأ ويظهر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾[5]، وأيضا قول السيدة آسية امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾[6]، فالنحت والبناء من وسائل البناء المادى.

كما أن للبيوت حرمة وخصوصية معتبرة، ويتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[7].

كما تعود كلمة بيت على مأوى كل المخلوقات سواء الإنسان أو الحيوان، كما فى قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[8].

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١٢٧.
(٢) سورة البقرة: من الآية ١٢٥.
(٣) سورة الأحزاب: من الآية٣٣.
(٤) سورة الطلاق: من الآية ١.
(٥) سورة الحجر: الآية ٨٢.
(٦) سورة التحريم: من الآية ١١.
(٧) سورة النور: الآية ٢٧.
(٨) سورة النحل: الآية ٦٨.

* **المسكن**: سكن الشيء سكونا ذهبت حركته وقر استقر وثبت، والمسكن فى اللغة من سكن السكون بعد الحركة، وهو بمعنى أن يكون البناء قد أقيم على أرض جديدة أو موطن جديد بعد أن تم الانتقال من الوطن الأصلى إلى موطن جديد، يقول تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾[1].

والمسكن مؤقت حتى يصبح بيتا مستمرا ولذلك سمى الله الليل سكنا أولا لأن فيه السكون بعد الحركة ولأنه ليس دائما بل يتلوه النهار باستمرار، قال تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا ﴾[2]، ومما يؤكد هذا المفهوم أن المرأة أول ما تدخل بيت زوجها يكون سكنا حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ ﴾[3]، فإذا ما استقرت وأقامت فيه إقامة طويلة أصبح لها بيتا، لذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ ﴾[4].

لقد كان للقرآن الكريم السبق فى التحديد المبكر لمعنى البيت والمسكن، وأن البيت ليس كالمسكن، حيث يقول جل فى علاه: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا ﴾[5]، فالله هو الذى جعل البيت مسكنا وورود البيت قبل المسكن فيه إشارة واضحة أنه حتى يصبح البيت مسكنا بحاجة إلى فترة من الزمن حتى يتحقق الارتباط الذهنى بين الساكنين والوسط الفيزيائى الذى هو البيت، وعند إسقاط هذا الإيضاح القرآنى على الجدل القائم باللغة الإنجليزية نجد أن البيت يتطابق مع كلمة (House) بينما المسكن يتطابق مع كلمة (Home)، إن البيت هو الوسط الفيزيائى للمسكن ولا يعد البيت مسكنا إلا إذا حدثت العلاقة الحميمية والتى

---

(١) سورة إبراهيم: من الآية ٣٧.
(٢) سورة الأنعام: من الآية ٩٦.
(٣) سورة الطلاق: من الآية ٦.
(٤) سورة الطلاق: من الآية ١.
(٥) سورة النحل: من الآية ٨٠.

يشير إليها القرآن من خلال فعل السكن الذى هو علاقة اجتماعية زمنية، وهذا ما تؤكده إشارة أخرى فى القرآن الكريم حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾[1]، وفى الآية الكريمة إشارة واضحة إلى أن البيت لايعد سكنا إذا فرغ من ساكنيه ويفقد قيمته كوسط له حرمته وخصوصيته، إن المسكن يحمل معنى إنسانيا أكثر من البيت[2].

ومن الإشارات والمعانى التى وردت فى القرآن الكريم لمفهوم المسكن أنه البيت المهجور، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾[3]، والمقصود هنا مساكن الأولين المهجورة التى يجوب فيها من جاء بعدهم للعظة والاعتبار، كما ورد أيضا فى نفس المعنى قوله تعالى: ﴿ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾[4].

* **المنزل**: من فعل نزل، والنزول هو الهبوط من أعلى إلى أسفل، فهو يعنى المهبط أو المقر الأخير، والمنزل هو المكان الذى يتوفر فيه الفضل والعطاء والبركة حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾[5].

وجمع منزل منازل، بمعنى موقع ومواقع ومما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾[7].

---

(١) سورة النور: من الآية ٢٩.

(٢) مشارى عبد الله النعيم (٢٠٠١). من المربع إلى العذيبات..رؤى وأفكار فى العمارة السعودية. كتاب الرياض- عدد٩٤، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، ص١١٣.

(٣) سورة طه: الآية ١٢٨.

(٤) سورة القصص: من الآية ٥٨.

(٥) سورة المؤمنون: الآية ٢٩.

(٦) سورة يونس: من الآية ٥.

(٧) سورة يس: الآية ٣٩.

* **الدار**: الدار من دار يدور من كثرة حركات الناس فيها، فهى تدل على كثرة عددهم وهو ما يحيط بسكانه، وهو يعنى جميع ما فى الموقع من عناصر البناء والفناء، وهو مكان يشغله أناس من عدة أجناس، وقد سمى الله سبحانه وتعالى الآخرة بالدار: ﴿ وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾[1]، كما سمى الجنة بالدار: ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

كما تعنى الدار البلد وهذا يؤكد معنى إنما سمى البناء دارا لكثرة سكانها وتعددهم كما يتعدد سكان البلد، يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾[3]، والمقصود بالدار فى الآية الكريمة المدينة المنورة، كما يقول سبحانه وتعالى أيضا: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾[4]، والمقصود هنا قوم ثمود ودارهم المعنية هى قريتهم.

ومما سبق يتبين لنا أن عمر الدار أطول من عمر المسكن.

* **البناء والبنيان**: البناء هو كل منشأ مرتفع عن الأرض، والدليل أن البناء معناه الارتفاع إلى أعلى قوله سبحانه وتعالى فيما يحكى عن فرعون: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴾[5]، ويؤكد ذلك أيضا أن البناء يكون طبقات إلى أعلى حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾[6].

ومرادف كلمة بناء فى القرآن الكريم هى بنيان، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ﴾[7]، وقد تأتى للتعبير عن البناء فى

---

(١) سورة غافر: من الآية٣٩.
(٢) سورة النحل: من الآية ٣٠.
(٣) سورة الحشر: من الآية ٩.
(٤) سورة هود: من الآية ٦٥.
(٥) سورة غافر: الآية ٣٦.
(٦) سورة الزمر: من الآية٢٠.
(٧) سورة الكهف: من الآية ٢١.

معناه الأفقى حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[1]، ثم يأتى وصف قرآنى ليوضح أن البنيان عبارة عن منشأ متكامل له قواعد وسقف وبالتالى حوائط، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[2].

* **القصر**: القصر فى اللغة يعنى البيت الفخم الواسع، وهو مقصور على ساكن واحد وأسرة واحدة، وقد وصف الله تعالى قوم ثمود بالغنى والثراء فى قوله: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾[3]، كما ورد إيضاح الفخامة فى وصف القصر فى موضع آخر من القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[4]، حيث تدل كلمة "مشيد" على الفخامة والمغالاة فى الزخرفة.

* **القرية**: القرية هى مجموعة من المساكن لقوم ينتسبون إلى أصل واحد مثل القبيلة وجنسهم واحد، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾[5]، كما أطلق الله سبحانه وتعالى على مساكن قوم عاد وثمود اسم القرى فى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾[6]، كما أطلق اسم القرية على مساكن قوم لوط حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾[7].

---

(١) سورة الصف: الآية ٤.
(٢) سورة النحل: الآية ٢٦.
(٣) سورة الأعراف: من الآية ٧٤.
(٤) سورة الحج: من الآية ٤٥.
(٥) سورة يونس: من الآية ٩٨.
(٦) سورة هود: من الآية ١٠٢.
(٧) سورة الأنبياء: من الآية ٧٤.

كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[1]، والقريتان هما مكة والطائف وسكانهما قريش وثقيف، كما أطلق الله سبحانه على مكة المكرمة مسمى "أم القرى" فهى كبيرة الحجم والمكانة شديدة التأثير فيما حولها وسكانها من أقوام ينتسبون إلى أصل واحد، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[2].

* **المدن والمدائن**: المدينة هى مساكن لأقوام مختلفى الأصل والجنس ومن تجمعات لاتربطها روابط الدم، قال تعالى قاصا عن موسى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾[3]، والثابت تاريخيا أن مدينة فرعون موسى كان يقيم بها أقوام مختلطى الأجناس من المصريين وبنى إسرائيل وغيرهم، ويؤكد ذلك تسمية "يثرب" باسم "المدينة" لأنها جمعت قبائل العرب من المهاجرين والأنصار (الأوس والخزرج) بالإضافة إلى اليهود، يقول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾[4].

أما عن المدائن فقيل أنها جمع مدينة وسميت مدائن كسرى بالمدائن لأنها كانت مكونة من عدة مدن متقاربة، وقد جاء ذكر المدائن فى قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾[5]، كما قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾[6].

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٣١.
(٢) سورة الأنعام: من الآية ٩٢.
(٣) سورة القصص: من الآية ١٥.
(٤) سورة التوبة: من الآية ١٢٠.
(٥) سورة الأعراف: الآية ١١١.
(٦) سورة الشعراء: الآية ٥٣.

* **البلد**: هو أى مجتمع عمرانى مثل القرية أو المدينة، يقول سبحانه وتعالى واصفا مكة المكرمة أم القرى بالبلد: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾[1]، ويقول أيضا: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾[2]، ونستشعر هنا أن كلمة بلد تعبر عن المكان والسكان أى تدل على مجتمع عمرانى.

أما البلدة فقد وردت فى بعض آيات القرآن للدلالة على المكان فقط، حيث يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ﴾[3]، والمقصود فى الآية الكريمة تحريم مكة المكرمة على خلقه أن يسفكوا فيها دما حراما أو يظلموا فيها أحدا أو يصيدوا صيدها أو يقطعوا شجرها[4]، كما قال جل فى علاه: ﴿ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾[5]، كما قال: ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾[6]، إن لفظ البلدة اقترن بالمكان فقط.

* **التجمعات البدوية**: يقول الله سبحانه وتعالى على لسان سيدنا يوسف: ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾[7]، يخبرنا الله سبحانه وتعالى عن لقاء سيدنا يوسف بأبويه بعد أن طال غيابه عنهما، والشاهد فى الآية الكريمة قوله:"وجآء بكم من البدو" حيث أنهم كانوا أهل ابل وغنم ببادية فلسطين[8].

وفى الآية الكريمة إشارة إلى التجمعات البدوية فى المناطق الصحراوية، وهى

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١٢٦.
(٢) سورة البلد: الآيتان ١، ٢.
(٣) سورة النمل: من الآية ٩١.
(٤) نخبة من العلماء (التفسير الميسر): مرجع سابق، ص٣٨٥.
(٥) سورة سبأ: من الآية ١٥.
(٦) سورة ق: من الآية ١١.
(٧) سورة يوسف: من الآية ١٠٠.
(٨) يحيى وزيرى (التعمير فى القرآن والسنة): مرجع سابق، ص١٨٣.

تجمعات قبائل البدو الرحل، فهى تختلف فى تكوينها الاجتماعى عن مجتمع القرية أو المدينة، حيث تتميز بأسلوب خاص فى أنماط المعيشة علاوة على خصائص تركيبها من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، كما أنها كانت تعتمد فى الماضى بصفة أساسية على الخيام من جلد الحيوانات أو القماش كمأوى أساسى لهذه القبائل.

إن الاستعراض السابق للمفاهيم المعمارية والعمرانية التى وردت فى آيات القرآن الكريم، انظر شكل (٣)، يوضح لنا مدى شمولية حصر هذه العناصر إلى جانب دقة تحديد معانيها ومفاهيمها، وأن القرآن الكريم بهذا الشمول والدقة يكشف عن أحد جوانب إعجازه فى مجال علوم العمران والبنيان، وهو بهذا يكون له السبق العلمى فى هذا المجال بتوضيحه أسس ومفاهيم هذا العلم والتفرقة الدقيقة فيما بينها منذ حوالى أربعة عشر قرنا من الزمان، وهو ما لم يعرف عن الكتب السماوية الأخرى (التوراة أو الإنجيل) مع إيماننا الكامل بها، ومع إيماننا أيضا بأن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ القرآن الكريم إلى أن تقوم الساعة ويرث الله الأرض ومن عليها، ومصداقا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ صدق الله العظيم.

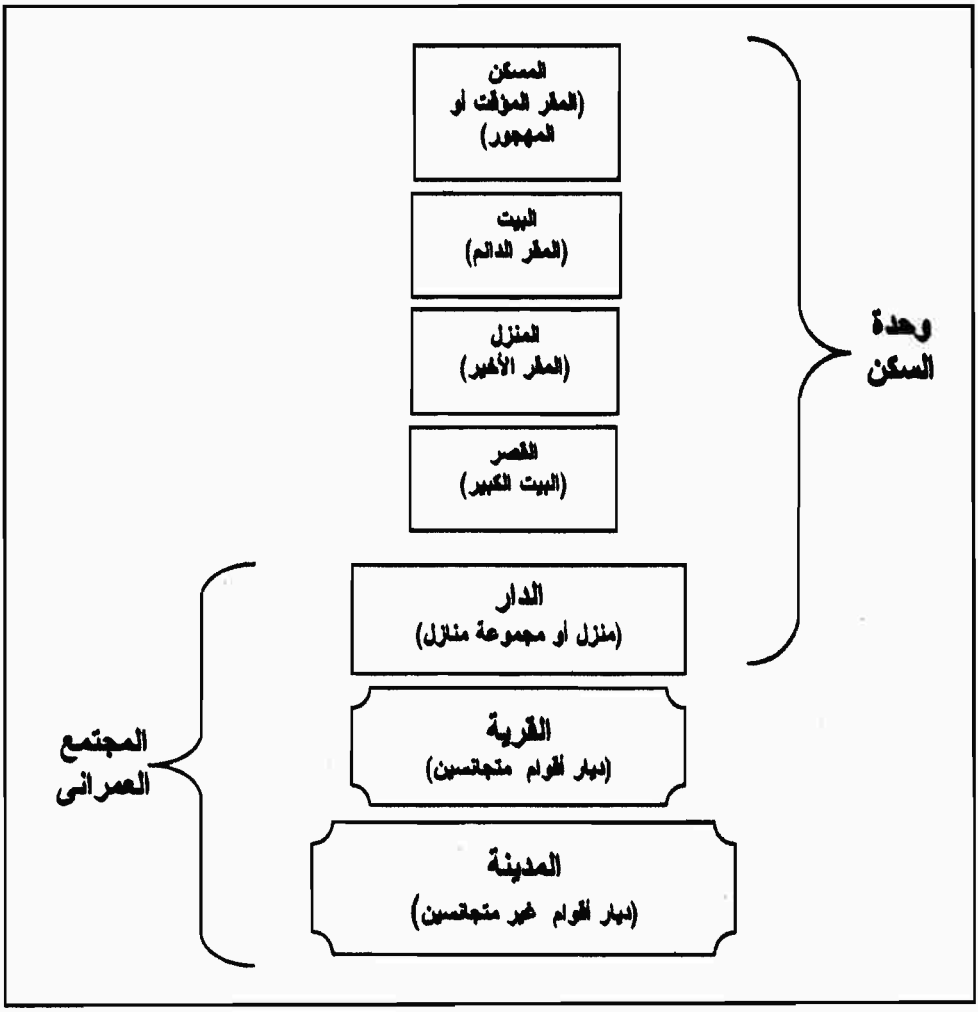

شكل (٣): دقة وشمولية القرآن الكريم فى التفرقة بين المفاهيم والمصطلحات المعمارية والعمرانية[1].

(١) محمود حسن نوفل: المرجع السابق.